



رسائل الثورة السورية المباركة (54)

الثورة السورية: لمرحلة الثانية (20)

الحظر الجوي أم الدفاع الجوي؟

في المقالة السابقة طالبت الجيش السوري الحر الباسل بمهمة عظيمة، وهو أهل لها – إن شاء الله – لأن ما رأيناه من ضباطه وجنوده إلى اليوم يدل على أنهم أشجع الشجعان، فإنهم يدركون تبعات قرارهم ويعلمون أنهم يتحولون إلى شهداء أحياء من لحظة انشقاقهم، ومع ذلك يشقّون ويعلنون انشقاقهم على الملا، – حماهم الله –.

طالبتهم بهذه المهمة الجليلة النبيلة، حماية الثورة وجمهور الثورة السلمي، لكن ليس من الإنصاف أن يُكَفِّوا بها بلا مساعدة، والمساعدة علينا نحن أن نقدمها لهم، بل عليكم تقديمها أنتم يا ثوار وأحرار سوريا بالمقام الأول.

أولاً: أعترف بأنني أقل بكثير من أن أتدخل في قرارات العسكريين المحترفين من قادة الجيش السوري الحر وضباطه الكبار؛ إنما أتجرأ فأقدم اقتراحاً، وبما أنني لا طريق لي إليهم لأقدم لهم اقتراحي فإني أنشره على الملا، لعل بعض من يقرؤه يستطيع توصيله إليهم. أرجو أن تعتبرو – يا أيها العسكريون الشرفاء – ما أكتبه مجرد اقتراح من أخ محب حريص، وأن تدرسوا لعل الله ينفع به، فإذا افتنتم به فانقلوا قناعتكم إلى الشارع ليعلنها ويطالب مجلسه الوطني بالسعى إلى تحقيقها، ولি�ضغط المجلس بعد ذلك على الدول الغربية لتتمدد جيشنا الحر بما هو محتاج إليه حتى ينجح في حماية المدنيين. أرأيتم كيف أن لكم دوراً في تقديم المساعدة يا ثوار سوريا الأحرار؟

الجيش بحاجة إلى السلاح والذخائر، وقد نقشت ذلك بإيجاز في المقالة الماضية، وهو يحتاج إلى أرض يرتكز إليها – منطقة آمنة –، وهو ما ستناقشه المقالة القادمة – بإذن الله –، ويحتاج إلى حماية من القصف الجوي، وهو موضوع هذه المقالة.

الحماية المطلوبة يمكن الحصول عليها بوحد من طريقَيْن، أحدهما مُكلف وطريقه طويل، والثاني رخيص نسبياً وطريقه قصير. الأول هو "الحظر الجوي" الذي يطالب به الأكرثون، والثاني هو "الدفاع الجوي" الذي لم يتحدث عنه أحدٌ حتى الآن.

الحظر الجوي معناه منع الطيران فوق منطقة محددة جغرافياً، غالباً يتراافق مع تدمير كلي أو جزئي للدفاعات الأرضية، ويحتاج إلى قرار دولي لتطبيقه – وهو قرار ستعطله روسيا أو الصين كما عهدنا في الماضي –، كما أنه يستدعي تطوير

دوريات دائمة من طائرات الاستطلاع والطائرات الحربية لتطبيقه بصورة فاعلة، فترتفع كلفته ارتفاعاً كبيراً. انظروا - على سبيل المثال - إلى تكلفة الحظر الجوي الذي طبّقه أميركا وحلف الناتو في البوسنة (1993-1995 م)، وفي كوسوفو (1999 م)، كلف الأول 3، 4 مليار دولار والثاني 2، 3 مليار دولار.

وماذا عن الكفاءة؟ هل يعتبر "الحظر الجوي" وسيلة مضمونة لمنع الطيران؟ غالبية القراء سوف يستغربون من السؤال لأنهم يعتبرون الجواب تحصيل حاصل، لكنه ليس كذلك، فلم يحصل في الماضي أن نجح أي حظر نجاحاً تاماً. على سبيل المثال: في البوسنة سجلت وثائق الأمم المتحدة أكثر من 500 خرق للحظر بين عامي 1993 و1995 م.

البديل الأرخص والذي يمكن الوصول إليه بسرعة وبلا حاجة لقرار دولي هو تأمين أسلحة مناسبة للدفاع الجوي، أسلحة يمكن أن تحمينا من شرّ الطائرات المقاتلة، النفاثة والعمودية على السواء. إنه بديل جيد ورخيص نسبياً، وقد يكون أنساباً كثيراً في الحالة السورية من الحظر الجوي الذي سيكلفنا المليارات ويحتاج إلى وقت طويل لتنفيذه بشكل فعال وإلى تجاوز عقبات دولية كثيرة، ليس أقلها الفيتو الروسي المشهور والمُشَهَر دائمًا فوق رقابنا.

هل تذكرون الحرب الأفغانية؟ لقد نجح المجاهدون الأفغان في تحديد سلاح الطيران الروسي وحماية أنفسهم من الغارات الجوية بصواريخ "ستينغر" الأمريكية المضادة للطائرات التي حصلوا على عدة مئات منها من الأميركيين. هذه الصواريخ تشبه قذائف "الآر بي جي" المشهورة وتحمل مثلها على الكتف، إلا أن تلك مضادة للدروع ومداها الفاعل نحو نصف كيلومتر وهذه موجّهة ضد الطائرات ومداها الفاعل ثمانية كيلومترات، بالإضافة إلى الفرق في وزن الرأس المتفجر ونوعه وطريقة التوجيه.

نحن بحاجة إلى أي نوع من أنواع أنظمة الدفاع الجوي المحمولة (مانپادس) (Man Portable Air Defense) Systems؛ صواريخ ستينغر الأمريكية مثلاً، أو مِسْتَرَال الفرنسية أو ستريلا الروسية، أو ما يشبهها. قيمة الصاروخ الواحد من هذه الصواريخ هي نحو مئتي ألف دولار. لو حصل جيشنا الحر على خمسين منها وأحسن توزيعها واستخدامها فإنه سيحمي كل مناطق الثورة من الغارات الجوية المحتملة، وسوف تُنَفَّذ خطة الحماية بأيدٍ وطنية مخلصة بتكلفة لن تتجاوز مئة مليون دولار بدلاً من مليارات الدولارات.

كما قلت في أول المقالة: أنا أقترح فقط، والعسكريون المحترفون من قادة الجيش السوري الحر وضباطه الكبار أدرى بالمصلحة، فإذا اقتنعوا بهذه الفكرة فليطالب بها الشارعُ وليس المجلسُ الوطني من أجل تطبيقها، وليبذل جهده - من خلال علاقاته واتصالاته - لتأمين صواريخ محمولة مضادة للطائرات وأنظمة رادار بسيطة، فإنها تتميز:

- (1) بمرونة في التنقل والحركة.
- (2) بكلفة متدنية نستطيع احتمالها.
- (3) توفر قدرًا معقولًا من الحماية ضد الطائرات المقاتلة.
- (4) يمكن الحصول عليها بسرعة هائلة مقارنة بالحظر الذي لا بد أن يمر عبر قنوات رسمية أممية طويلة قبل إقراره وتطبيقه - لو أنه أصلاً قرر وطبق -.

أما إذا رفض أحرار الجيش من العسكريين المحترفين الفكرة وأصرّوا على الحظر فلا قول لقائل بعد قولهم، وسوف أتبين مطلبهم - رغم افتراضي بأنه خيار مفضول وأن خيار امتلاك أسلحة دفاع جوي هو الأفضل -، وسوف أدعوه - أنا وغيري - المجلس الوطني إلى تبني ما يريدون وما يطلبون.

المصادر: